

النفس لتجاوز الحقيقة ، أي لتجاوز المعطى المباشر . وهو إذن وليد حساسية تضيق بالواقعي ، وتتطلع إلى ما وراءه - وليد حساسية ميتافيزيقية . فالمجاز تجاوز : وكما أن اللغة تجوز نفسها إلى ما هو أبعد منها ، فإنها تجوز الواقع الذي تتحدث عنه إلى ما هو أبعد منه . كأنّ المجاز ، في جوهره ، حركة نفي للموجود الزامن ، بحثاً عن موجود آخر .

هكذا يُخرج المجاز الواقع من سياقه الأليف ، فيما يُخرج الكلمات التي تتحدث عنه من سياقها الأليف ، ويغير معناه فيما يغير معناها - مقيماً ، في ذلك ، علاقات جديدة بين الكلمة والكلمة ، وبين الكلمة والواقع ، مغيراً صورة الكلام وصورة الواقع معاً .

وبما أنّ المجاز يُخرج الكلمات من حدودها الحقيقية ، فإن العلاقات التي يقيمها بينها وبين الواقع ، إنما هي علاقات احتمالية - يتعدّد بها المعنى ، مما يُؤلّد اختلافاً في الفهم ، يؤدي إلى اختلاف في الرأي وفي التقويم . ومن هنا لا يتيح المجاز إعطاء جواب نهائي ، لأنه في ذاته مجال لصراع التناقضات الدلالية . هكذا يظلّ المجاز عامل توليد للأسئلة ، وهو من هنا عامل قلبي وإقلاقي بالنسبة إلى المعرفة التي تريد أن تكون يقينية .

إنّ هذا كلّه يعني أن المجاز يرتبط بنظرة إلى الحقيقة ، أو أنه لا يتضمّن موقفاً منها وحسب ، وإنما يتضمّن كذلك طريقة في التفكير ، وفي الكشف عن الحقيقة ، والتعبير عنها .

إذا أضفنا إلى ذلك رأي الجرجاني القائل : « المجاز أبداً